

الخطاب الديني والمنظومة القيمية

الاجتماعية

بين الغزو الفكري ووسائل

التربية والتعليم.

ا.م.د. حسنين جابر الحلو.

جامعة الكوفة/ مركز دراسات الكوفة .

المخلص :

عندما نتحدث عن خطاب ديني فأننا نتحدث عن وجود لهذا الخطاب داخل المجتمع الانساني ومايحدده من تمظهرات في ارض الواقع لفائدة جذرية فعليه تقود المرحلة نحو قضايا مصيرية فاعلة تعمل على انشاء سلوك مجتمعي ظاهري ليعيش العالم بعدها بأمان بدلا مما يعيشه اليوم من وضع مريع لا يمكن اعتباره وقتيا, ولا يمكن للموجودين العالي عليه حتى لا ينفر البقية من صفو تأمله في قضايا (مصير العالم), ورهاناته الدينية, فالتفكير في قضايا العصر وأحداثه اليومية ليس استنقاذا من مكانة مصيره او حطا من قيمة وحدة الدين, بل على النقيض من ذلك, قد يكون التفكير في القضايا

التي تشغل بال الناس أهم حافز يوقظ التفكير الواقعي الخصب
ويمنحه صلاحية ووجاهة, لأن محورية الأحداث الراهنة ومحاولة
فهم أصولها وابعادها , لا يعني اننا ننخرط في سياق فكر احداثي
لا يرتقي الى دمج المفاهيم مع بعضها البعض او الانخراط في زاوية
البحث عن آلية التفاعل بين اجناس المجتمعات التي تضم بين
اطرها مختلف الصور البيانية التي تجيز التعاليى على الظواهر
والاحداث لتجد الحقيقة ولتتأثر بما هو منتظم فيها, وقد هبّت
هذه الحوادث للعالم للدخول في جو يطغى عليه في مجال الفكر
والاهتمام بـ(الدين) والتهيء لظهور حركة جديدة انبثقت من لقاء
الدين بالعقل, وأخذت مصير التاريخ البشري لتأثيرها.

لقد اعدت هذه التحويلات الفكرية والاجتماعية للعالم تصور جديد
عن الله عز وجل كقطب خير, ومريد عالم, ولايجاد ارتباط خاص بين
الانسان وهذا القطب, يختلف عما كان موجودا في أحداث سابقة.

لذا نجد (أفلوطين) انطلق الى بيان هذا الارتباط على نحو يختلف عن
آراء الفلاسفة والسابقين, فجاء ما أقترحه من ارتباط طرفين:-

الاول من ارتباط يخرج الإنسان من الهامش الى المتن,والثاني من
الفرع نحول الاصل, وقد انعكس هذا الارتباط في أدبيات المتكلمين
والفلاسفة والمسيحيين والمسلمين بصورة اوضح وأدق, فالله وإن
كان واجبا وقديما كاملا ومطلقا, لكنه ذو وجود واحد مشخص, وهو
لم يخلق العالم فحسب بل جعل بينه وبين الانسان علاقة خاصة
وواعية.

وهو لم يخلق الانسان ويدعه يتخبط بل بذل له عناية خاصة اذ لم يقرر هداية هذا الوجود، وقوانين الكون والطبيعة العامة فحسب بل خاطبه اضافة الى ذلك عن طريق الوحي ايضا، فيجب على الانسان في عالم كهذا، ان يعرف و اجبه في الارض وفي المجتمع البشري وان يعمل بما يملي عليه هذا الواجب، وان يتهياً لحياة اسمى.

ولم تكن حالة التعايش بين أفراد المجتمع دينيا بأحسن حال من هذه إذ كان يمر بمعتقداته من حال السحر الى حال التأليه لقوى الطبيعة.

وإذا كان قد وجد بعض السلوى في معتقده الجديد فمن الصعوبة الافتراض بأنه قد غادر تماماً أمواج الشك والريبة وعاش مطمئن الضمير وقد كانت مواضيع التأليه ذاتها منبعاً لشكه وريبته بعدها ما بات يلاحظه من ازدواج الفعل الالهي عنده وتبذبه بين الشر والخير والفضيلة والرذيلة.

وهنا يجب القول انه ليس من قوم او شعب او طائفة من الناس في مجتمعاتهم كانت حياتهم كلها من دون دين فحيث وجدت الحياة الاجتماعية وقد وجدت على الدوام نشأت ضوابط وقوانين تحكم وتقيّم تصرفات الافراد والعلاقات بينهم، وليس من شأننا في المقام أن نعرض النسبة بين الضوابط التي تسود مجتمعا ما وبين العوامل الحضارية الاخرى يدور هذا المجتمع واطاره الديني في فلكها ولا النسبة بين الثقافة والحضارة عموماً.

